University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد التاسع - سبتمبر 2016

الإبدال الصرّفي وأثره في التخفيف شعر أحمد الشارف (أنموذجا)

د. حُسين نوح بدر حسين.

(عضو هيئة تدريس بجامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية – ليبيا)

الإبدال الصرّفي وأثره في التخفيف شعر أحمد الشارف (أنموذجا)

الملخـــــــص:

لقد سعت اللغة العربية إلى التيسير وإلى تذليل الأصوات العسيرة والثقيلة وساعدها على ذلك عدد من العوامل، منها الإبدال الذي عمل على تقريب الصوت من الصوت من حيث المخارج والصفات. كما يُعدُّ الإبدال من العوامل التي ساعدت اللغة العربية على التخلص من الأصوات العسيرة والثقيلة. وقد تخلّصت اللغة العربية من تنافر الحروف أو ثقلها بتقريب المخارج المتنافرة بعضها من بعض لإكساب الكلمة التأليف الحسن المستساغ، كما تخلّصت من هذا التنافر بتقريب الصفات بعضها من بعض ليجري النطق بالأصوات على منهاج واحد. ويتجلّى التيسير في التخفيف الذي تمثّله محاور أربعة هي: المشاكلة، والمجانسة، والمماثلة، والمخالفة، وهذه المحاور أشبه ما تكون بالمراحل المختلفة على خط سير واحد. فتكون المشاكلة أوّل مرحلة، إذ يصبح الصوتان المتماسان المتنافران متوافقين ومنسجمين، تتلوها المجانسة، فيصبح الصوتان المتماسان من جنس واحد، ثم تكون المماثلة أقصى مراحل التقريب، إذ يصبح فيها الصوتان المتماسان متماثلين، ثم تجيء المخالفة لتكون مرحلة مختلفة عن سابقاتها إذ تتحول اللغة من التقريب إلى المباعدة، فأبدلت من أحد الحرفين المتماثلين حرفاً مخالفاً، وكل هذه المحاور على اختلاف درجاتها ، تهدف إلى التيسير والاقتصاد في الجهد العضلي.

مقدمة :

إنّ الإبدال الصرفي هو إقامة حرف مقام حرف ضرورة، أو استحساناً [i] ، ويجب أن يكون المبدل منه أو المبدل كلاهما من الحروف الصحيحة، فإن كانا معتلين فهو إعلال، وقد أشار بعض النحاة إلى أن مصطلح الإبدال يتسم بالعموم ليشمل ما أطلق عليه الإعلال بالقلب والإبدال؛ وقد أشار "ابن عقيل"، "الأشموني" إلى ذلك، فالمقصود بالإبدال عندهما الإبدال الشائع الذي يجمعه قولنا "هدأت موطيا" ، وقد أدخل "الأشموني" الإعلال بالنقل والحذف تحت ظلال مصطلح الإبدال [ii]. أمّا التخفيف فالمقصود به : التصرّف في اللفظ الأصلي للكلمة بغية التخلص من الثقل وإدراك أقصى ما يمكن من الخفة دون إخلال بالدلالة المعنوية، وغايته تذليل الأصوات العسيرة وتيسير اللفظ المتعذر لتوفير الجهد العضلي[iii]، وقد سعت اللغة العربية إلى التخلص من الثقل وإلى تذليل الأصوات العسيرة أو المتعذرة كلما أحسّت بالحاجة إلى ذلك، وقد تحقق ما أرادت عن طرق كثيرة منها: الإبدال الذي نحن بصدده، وهو من سنن أهل هذه اللغة.

جاء في الصاحبي: "ومن سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض" [iv]، والإبدال من الظواهر المقررة عند اللغويين القدماء والمحدثين، وقد عبّر سيبويه عن هذه الظاهرة بقوله:

"هذا باب الحرف الذي يضارع به حرف من موقعه"[v].

ولتحقيق التخفيف عن طريق الإبدال مستويات مختلفة يمكن تتبعها فيما يلي محلّلين في كل مستوى المظاهر التي تمثله وهذه المستويات هي: المشاكلة والمجانسة والمماثلة والمخالفة.

وقد جاءت فكرة هذا البحث بعد استكمال موضوع رسالة الدكتوراه الموسومة بعنوان ((ديوان أحمد الشارف "دراسة صرفية")) حيث تبّين من خلال النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن الشعر الحديث وخاصة الشعر الليبي الذي يمثل أحمد الشارف أحد أعمدته الرئيسة فقد كان يُطلق عليه شيخ الشعراء به نماذج جيّدة جديرة بالبحث والدراسة وقد جاء هذا البحث في مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة.

1 – المشاكلة :

وهي أن يصبح الحرفان المتمارسان المتنافران متوافقين بتقريب صوت أحدهما من الآخر.

ومن صور المشاكلة إبدال الميم من النون الساكنة المجاورة للباء نحو قولهم : "مَمْ بك" في "مَنْ بِكَ" و شمباء في "شنباء" [vi].

اجتمع صوتان متنافران أحدهما النون الساكنة، وهي خفيّة مخرجها من الخيشوم والثاني الباء التي تخرج من الشفتين ، فَثَقُل على الناطقين إخراج الحرفين من مخرجيهما لما في ذلك من العسر والتعذّر، وذلك لصعوبة إخراج حرفين متواليين على مخرجي النفس المتباعدين [vii]، وكان السبيل إلى الهروب من هذا الثقل إبدال النون الساكنة ميماً لأنها تشارك الباء في المخرج والنون في الصفة فيتوحد مجرى الهواء ويسهل نطق الحرفين يقول ابن يعيش: "النون الساكنة حرف رخو ضعيف يمتد بغنة في الخيشوم، والباء شديد مجهور، مخرجه من الشفة ، وإذا جئت بالنون الساكنة قبل الباء خرجت من حرف ضعيف إلى حرف ينافيه ويضادّه، وذلك ممّا يثقُل ، فجاؤوا بالميم مكان النون، لأنها تشاركها في الغنة وتوافق الباء في المخرج لكونها من الشفة، فيتجانس الصوت بهما ولا يختلف"[viii].

ومن المشاكلة أيضاً إبدال تاء الافتعال دالاً إذا كانت فاؤه ذالاً أو زاياً نحو قولهم : "أزدجر" في ازتجر" واذدكر في "ادتكر" إذا اجتمعت الذال والزاي المجهورتان مع التاء المهموسة، ومنه قول أحمد الشارف:

1- لاغَرْوَ أنْ يدّعي الليبي أنّ لهُ مَا للعرُوبةِ مِنْ مَجْدٍ ومِنْ حَسَبِ [ix]

2- كَيْفَ لا نَبْكي على عَهْدٍ قدْ مَضَى في ازديادِ العلم في نَشْرِ الحِكَمْ [x]

فالفعل (يدّعي) الوارد في البيت الأول تتأثر تاء الافتعال بالدال فتُقلب دالاً ويمكن تفسير ذلك بما يلي:

جاورت الدال "وهي صوت أسناني لثوي شديد مجهود مرقق"[xi]، التاء "وهي صوت أسناني لثوي شديد مهموس مرقق [xii]، فتحققت المشاكلة وزال الثقل وصار الفعل "يدّعي" ، ومثل هذا إبدال بعض العرب الدال تاء من تاء "فعلت" معهما نحو قولهم : فُزدُ في "فُزتُ" [xiii]. تشبيها لهذه التاء بتاء الافتعال وذلك مبالغة في تقريب الصوت بعضه من بعض ، وكذلك قول الشاعر "ازدياد" في البيت الثاني تتأثر تاء الافتعال بالزاي فتُقلب دالاً ووصف ذلك ما يلي:

جاورت الزاي "وهي صوت أسناني لثوي رخو مرقق [xiv]، يهتز الوتران الصوتيان بشدة عند النطق بهما [xv] التاء وهي "صوت مهموس فاستمر توتر الوترين الصوتين في نطق الزاي بعد المدة الوجيزة جداً التي ينطق فيها صوت الزاي فإذا أضفنا إلى التاء بكل خصائصها الصوتية توتراً في الوترين الصوتيين سمعنا أو نطقنا دالاً [xvi] فتحققت المشاكلة وزال الثقل وصارت الكلمة "ازدياد" وقد تنبّه القدماء على هذا قال ابن جني "ومن ذلك أن تقع فاء الافتعال زياً أو دالاً أو ذالاً فتُقلب تاؤه دالاً كقولهم : (ازدّان، وادّكر ، واذدّكر) فيما حكاه أبو عمر"[xvii]، ومن المشاكلة أيضاً إبدال تاء الافتعال طاءً إذا كانت فاؤه صاداً أو ضاداً أو ظاءً نحو :اصطبر في : "اصتبر" واضطرب في "اضترب" ، ومنه قول أحمد الشارق:

1- واطّلع الدمعُ عَني بَعْدَ حَبسْتَهُ والمُزْنُ غيّب احتباسِ يَهْطِلُ المطَرا [xviii]

2- مِعْراجُ صِدْقٍ وتَمْحيصٍ لِدَعْوتِهِ ما كَانَ ثابت فيها ومضْطَرِبُ [xix]

ففي البيت الأول جاء الفعل (اطّلع) وقد أُبدلت تاء الافتعال طاءً حيث تأثرت تاء الافتعال بالطاء فقُلبت طاءً هكذا: اطتلع ← اططلع ← اطّلع.

وتفسير ذلك ما يلي:

جاورت الطاء "وهي صوت أسناني لثوي شديد مهموس [xx] ومطبق التاء ومخرجهما واحد عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا غير أن الطاء مطبق يتخذ اللسان معه شكلا مقعراً [xxi] فانتقال التاء إلى طاء يتطلب تضخيمها لتصبح التاء مطبقة مثلها [xxii]، فقُلبت التاء طاء كي تصبح مطبقة وكانت غير مطبقة [xxiii]. وتصير الكلمة "اطّلع" فتحققت المشاكلة وزال الثقل.

وكذلك قول الشاعر (مضطرب) في البيت الثاني حيث تتأثر تاء الافتعال بالضاد فتقلبها طاء: مضرّب ← مضطرب ، وتفسير ذلك ما يلي:

جاورت الضاد "وهو صوت أسناني شديد مجهور [xxiv] مطبق [xxv] التاء فأثر الصوت الأول في الثاني ليصبح مجهولاً مثله مطبقاً وصارت الكلمة (مضطرب).

ومثل هذا إبدال الطاء من تاء "فعلت" مع هذه الأحرف نحو قولهم "فحصط" في فحصت وحَفِظٌ [xxvi] "حفظت"" "وقبضط" في "قبضت" [xxvii] تشبيها لهذه التاء بتاء الافتعال مبالغة في تقريب الصوت من الصوت.

ففي هذه الأمثلة كلها مالت الأصوات إلى التناسب وقرّب بعضها من بعض لتذليل بعض الصعوبات التي قد تشوب النطق بتلك الأصوات وفي هذا تيسير للغة وتوفير لمجهود العضلي، إذ يميل المتكلم إلى أيسر السبل محققا غايته في الإفهام والتوصيل من دون إخلال بالدلالة المعنوية للألفاظ التي حدث فيها الإبدال.

2 – المجانســة:

هي مرحلة أكبر من المشاكلة إذ يصبح فيها الحرفان المتمارسان من جنس واحد ومن أمثلتها إبدال حروف المدّ من الهمزة فقد أُبدلت الهمزة الساكنة مدّا يجانس حركة ما قبلها نحو الكاس والراس في "الكأس ، والرأس" والمومن والبوس في "المؤمن والبؤس" والبير والديب" في "البئر والذئب" [xxviii]. ومنه قول الشاعر أحمد الشارف:

1- طَابَ الشرابُ وطابتْ الأنفاسُ وَصَفَا السرورُ وزَالَ عنّا الباسِ [xxix]

2- بِقلبِ يَحْيَى ثم يُصْبِحُ يانعاً مهما تطفحُ في يديه الكأسِ [xxx]

ففي البيتين السابقين قول (الباس) بالتخفيف أراد (البأس). بإثبات الهمزة فقلبها ألفاً لتناسب فتحة الباء قبلها لتمام الوزن والقافية حيث يحتم أن يكون الألف ردفا، وقوله (الكاس) بالتخفيف أراد (الكأس) بإثبات الهمزة.

وظاهرة التخفيف جاءت في سياق الفرح والابتهاج (زال عنّا الباس)، (في يديه الكاس)، وقد اكتنف هذا الإبدال أمران: الأول: هو الحرص على الوزن والقافية، الثاني: دلالي حيث أعطى للكلمة اتساعاً زمنياً يؤدي إلى زوال كل المكروهات عنه وهو طول فترة الفرح والابتهاج وذلك قولهم: "فإن اتسع مخرج الحرف حتى لا يقتطع الصوت عن امتداده واستطالته، استمر الصوت ممتداً"[xxxi]، وهذا الإبدال إراديّ يقصد إليه المتكلم قصداً إذا أراد التخفيف من ثقل الهمزة، وأبدلت هذه الهمزة مدّا يجانس حركة ما قبلها لأن حروف المدّ هي أيسر أصوات اللغة وأخفها على الألسنة ولذلك لا يخلو كلام منها أو من بعضها، وإذا كان سكون الهمزة سهّل إبدالها في الحالة السابقة فإن بعض العرب ذهب إلى أبعد من هذا فأبدل من الهمزة المتحركة المتحرك قبلها حرف مدّ يجانس حركة ما قبلها فإذا كانت الهمزة مفتوحة مفتوحاً ما قبلها أبدلوها ألفاً نحو :سال في "سأل"[xxxii]. يقول سيبويه : "واعلم أنّ الهمزة التي يحقق أمثالها أهل التحقيق من بني تميم وأهل الحجاز، وتُجعل في لغة أهل التخفيف بَينَ بَينَ ، تُبَدل مكانها الألف إذا ما قبلها مفتوحاً..."[xxxiii]. ويزداد داعي الإبدال وضوحاً إذا اجتمعت همزتان ، فإذا كانت الهمزة المفردة مستقلة ، فإنّ اجتماع همزتين فيه ثقل مضاعف ولا مناص عندئذ إبدال الهمزة الثانية لتحقيق التخفيف.

ونذكر من نماذج الإبدال في الهمزتين ما أُبلت فيه الهمزة الثانية لتُجانس حركة الهمزة الأولى وذلك أن تجتمع همزتان في كلمة واحدة وتكون الثانية منهما ساكنة، إذ يجب عندئذ أن تُبَدل الثانية مدّا يناسب حركة الأولى فتبدل ألفاً مع الفتحة نحو آدم وآمن والأصل : أأدم ، وأأمن [xxxiv].

ومنه قول الشارف:

1- أبـلـيـس آدم لا يـزال ولـم يـزل لـبـنـيـه أيـنـمـا ذهـبـوا ذهـب [xxxv]

فكلمة (آدم) الواردة في البيت السابق أصلها (أأدم). فقد ورد في هذه الكلمة صوتان صحيحان ثم أصبح فيها صوت واحد وحركة طويلة، ولاشك أن هذا أيسر عليهم من تحقيق الهمزتين لأن تحقيقهما ردئ في رأي النحاة [xxxvi] والذي نلحظه في أمثلة المجانسة عموماً أنّها حققت درجة متقدمة من التخفيف أذ سعى العرب إلى إبدال الأصوات الصائتة التي يتطلب النطق بها جهدًا كبيراً والتي هي أخف الأصوات

العربية من صوت صحيح كان تارة أثقل أصوات العربية وتارة كان ثقله ناتجاً عن تكراره وكان تارة أخرى خفيفاً فطلبوا بإبداله خفّة أكبر.

3 – المماثلـــة:

وهي أن يصبح الحرفان المتماسّان من لفظ واحد، وهذا مستوى أدقّ إذ أنّ نتيجة فناء صوت في صوت آخر بعد إبداله منه، والمقصود من المماثلة في هذا المجال مختلف عن القانون الصوتي المعروف بقانون المماثلة فذلك قانون صوتي يقضي بتغيير الأصوات المتنافرة وإبدال بعضها من بعض لتحقيق نوع من الانسجام والتوافق بين الأصوات من دون تحديد لدرجة التغيير أو التقريب أمّا المماثلة ههنا فهي مستوى من مستويات التخفيف يكون نتيجة لتفاعل الأصوات وتأثر بعضها ببعض، وهي مستوى محدّد إذ لا يكون إلا عندما يؤدي الإبدال إلى اجتماع مثيلين وإدغام أحدهما في الآخر، فقانون المماثلة إذاً يشمل مستوى المماثلة وغيرها كالمشاكلة. ففي المشاكلة تصرّف الناطقون في اللفظ الأصلي وأبدلوا من أحد الصوتين المتنافرين صوتًا مقارباً للآخر لإدناء الصوتين بعضهما من بعض.

أمّا المماثلة فسوف نرى أنّ هؤلاء الناطقين تصرّفوا في اللفظ الأصلي فأبدلوا من أحد الصوتين المتنافرين صوتاً مماثلاً للآخر وأدغموه فيه فهما أي المماثلة والمشاكلة مستويان مختلفان من التخفيف يحكمهما قانون المماثلة، ومن مظاهر الإبدال التي تمثل هذا المستوى إبدال تاء الافتعال طاءً عندما تكون فاء الكلمة ضادًا أو طاءً نحو قولهم:اطّرد والأصل "اطترد" [xxxvii] ومنه قول الشارف:

1- ولَطَالمَ اضْطَربتْ سياسةُ أمة بوشايةِ الواشِي ومُخْتَلقَاتِهِ [xxxviii]

2- واطّلعَ الدّمعُ عَنْي بَعد حَبَسْتَهُ والمُزنَ غبّ احتباس يَهْطلُ المطرا [xxxix]

فالكلمة في البيت الأول (اضطربت) أُبدلت التاء منها طاءً لأن الأصل: ضرب ← اضترب ← اضطرب.

وكذلك الكلمة (اطّلع) في البيت الثاني أُبلت التاء طـاء لأن الأصـل: طلع ← اطتلع ← اطلع..

وحدث الإبدال كون فاء الكلمة ضادًا أو طاءً وقد بين الأشموني ذلك بقوله: "إذا بُني الافتعال وفروعه مما فاؤه أحد حروف المطبقة وهي الصاد والضاد والطاء والظاء وجب إبدال تاء طاء فنقول في افتعل ، من صبر: اصطر، ومن ضرب، اضطرب ومن ظلم ، اظطلم". فاستغل اجتماع التاء مع الحرف المطبق لما بينهما من تقارب المخرج وتباين الصفة إذ التاء المهموسة مستغلة والمطبق مجهول مستغل فأُبدل من التاء حرف استغلاء من مخرجها هو الطاء" [xl]، ومنها إبدال تاء الافتعال دالاً عند كون فاء الكلمة دالاً، وإبدال تاء "فعلت" دالاً أيضاً عند كون فاء الكلمة دالاً اجتمع في الحالتين مثلان هما:

فاء "افتعال لام أو "فعلت" والدال المبدلة من تاءيهما – أوّلهما ساكن فوجب الإدغام ، وذلك نحو قولهم: أدّان [xli] وجُدُّ [xlii] في "أدتان وجدت" والذي نلحظه هنا أنّ الإدغام حدث دون قصد أي أنّ الإبدال لم يكن سببه الإدغام، بل إنّ سببه تحقيق الانسجام بين الأصوات، غير أنّ الحرف المبدل صادف حرفاً مثيلاً له، فلم يجد الناطق مناصاً من الإدغام، ودليل هذا أنَّ الانسجام تحقق في حال كون فاء الكلمة في (افتعل) ولامها في "فعلت" صادًا أو ظاءً وذالاً أو زاياً دون حاجة إلى الإدغام ، لأنه لم يجتمع عندئذ مثلان بل صوتان متقاربان متوافقان.

ومنها تلك الوجوة الجائزة في إبدال تاء الافتعال ممّا فاؤه صادًا أو ضاداً أو ظاءً أو ذال أو زاي، إذ جوّز النحويّون إبدال تاء الافتعال بحسب ما قبلها وإدغامه فيها أو العكس وذلك نحو قولهم: اصّبر في

"اصطبر" واطّجع وآضجع [xliii].في اضطجع وأظّلم وأذَكر وأدّكر في "اذدكر" ، ومنه قول أحمد الشارف:

1- مَضَـــى الشـــبابُ وأبْقَى مِنْ أطـايبـه مَـا قَـدْ يكونُ لَنَـا ذكرى ومـدّكر [xliv]

2- وفي العراقِ وفي نحو الحجـاز وفي دَارِ السّـــلامِ لَظَى الأحشـــاءِ تضـــطرمُ [xlv]

3- تحلّلـها اصـــطبـاحـا واغتبـاقـا علـى طرب وشَـــوقٍ مســـتـديم [xlvi]

فالكلمات (مدّكر، تضطرم، واصطباحا) أُبدلت فيها التاء دالاً وطاءً على التوالي كون فاء الكلمة دال أو ضاد أو صاد، والملاحظ أن هذه النماذج كلها حدثت بسبب الإدغام إذ هو الداعي إلى إبدال أحد الحرفين من الآخر طلباً للتماثل فأصحاب هذه اللغة لم يكتفوا بالانسجام الذي تحقق بإبدال التاء صوتاً قريباً من فاء الكلمة وهو ما اصطلحنا على تسميته بالمشاكلة، فطلبوا مستوىً آخر تكون فيه الأصوات أكثر انسجاما ويُرفع بها اللسان رفعة واحدة وذلك المستوى هو المماثلة وهذه النماذج كلها مقصود فيها الإدغام أي أنّ الناطق قصد إلى الإدغام طلباً للخفة، والذي نلحظه في أمثلة المماثلة أنّ اللغة سعت إلى تحقيق مستوى متقدم آخر من التخفيف وذلك بإبدال الصوت المستثقل أو المتعذّر صوتاً يماثل الصوت المماس له وإدغامه فيه. وسواء أجاء الإدغام بالقصد أم أنّ الإدغام حدث دون قصد فإنّ الغرض قد تحقق، نقصد غرض التخفيف وتيسير اللفظ المتعذر لتوفير الجهد العضلي، والمماثلة أقصى درجات تقريب الصوت من الصوت إذ نجد أن اللغة تتجه بعدها وجهة أخرى في التخفيف وتسلك مسلكاً آخر، فإذا كان التقريب قد حقق للغة ثلاثة مستويات مختلفة من تذليل النطق بالأصوات المتنافرة كان أقصاها المماثلة، فإنَّ اللغة العربية لم تقف عند المماثلة مكتفية بما حققته من التخفيف بل سعت إلى التخفيف من ثقل التماثل فسلكت إلى ذلك سبيلاً معاكساً لسبيل التقريب وذلك ما نراه في الفقرة التالية:

4 – المخالفـــة:

هو التصرّف في أحد المتماثلين لإزالة ثقل لفظ التماثل أو تعذره، وهي ضرب من التخفيف يعاكس المستويات الثلاثة السابقة بالسلب أي أنّ المستويات الأولى تنحو إلى الاتصال ، أو بمعنى آخر إلى تقريب الأصوات المتنافرة بعضها من بعض، في حين أنّ هذا المستوى ينحو إلى ا لانفصال أي المباعدة بين الأصوات المتماثلة ومن أمثلة المخالفة بعض مظاهر إبدال الهمزة من حروف العلة وجوباً وجوازاً كإبدالها من الألف الواقعة طرفاً بعد ألف زائدة نحو قولهم: حمراء [xlvii] والأصل حَمَري زيدت الألف قبل الآخر للمدّ فاجتمعت ألفان وتعذّر النطق بهما فأُبدلت الألف الثانية همزة لإزالة التعذر ومثله إبدال الهمزة من الواو والياء الواقعتين طرفا بعد ألف زائدة نحو قولهم : دُعاء ، وبناء والأصل: دُعاو ، وبناي ومنه قول أحمد الشارف:

1- زَعْزَعَ الشّـــوقُ ركن صَـــبْري عنكم عَنْـدَمـا قَـامَ فـي هَـواكـم بنـاءُ [xlviii]

2- عَـمَـلُ يُـواصِـــلَـه بِـكـلِّ رَويـةٍ وَصَـــفـاءُ وَجْـدانُ ورَاحَـة بَـالِ [xlix]

3- وهَـلْ تـؤمـلُ عَـيـنُ أحـبـتـهـا ســوى البكـاءِ إذا مَـا فَـاتهـا النظرُ [l]

فالكلمات (بناء، وصفاء، والبكاء) أُبدلت الهمزة من الواو والياء الواقعتين طرفا بعد ألف زائدة وهذا الإبدال لإزالة التعذر لأن الأصل على الترتيب (بناي ، صفاو، بكاي) فوقعت الواو والياء بعد الألف فقلبتا ألفا فاجتمع ألفان وتعذر النطق بهما فأبدلت الثانية همزة [li]، ومن أمثلة المخالفة إبدال الهمزة من

الألف والياء في الجمع على وزن فعائل، وما يشبهه نحو قولهم: صحائف جمع صحيفة وقلائد جمع قِلادة [lii].

ومنه قول أحمد الشارف:

1- إليكَ صَحَائِفُ الأخْبَارِ جَاءتْ موشحة بِآثارِ حسانِ [liii]

2- وانتابكم خَطرٌ المُفرق بينكم ورَسائلُ التّفْريقِ من نزعاتِهِ [liv]

فالكلمات (صحائف ، ورسائل) أبدلت الياء همزَة في "صحائف" لأنه قد اجتمع ياء وكسرة وهما بمثابة المثلين فأبدلوا هروباً من الثقل وتيسير النطق، أمّا في "رسائل" فقد اجتمع ألفان، ألف الجمع وألف المفرد وكان التقدير "رسا ا ل" فتعذر النطق وأُبدلت الألف الثانية همزة لإزالة التعذر.

ومن أمثلة المخالفة إبدال الهمزة من الياء في اسم الفاعل الذي أُعلت في فعله نحو قولهم: بائع [lv] ومنه قول الشارف:

1- وَغَدَا كُلُّ صَاحبٍ وخَليلٍ وَاجَم القلب زائد الأتراح [lvi]

2- ولا أنكرُ الصّبْرا الجميلَ وفَضْلَه ولا العُمر إن أفنيته فيه ضائعُ [lvii]

فالكلمات (زائد ، وضائع) الأصل: زايد ، وضايع، فقد اجتمع الياء والكسرة وهما بمثابة المثلين، فأُبدلت الياء همزة، ومن أمثلتها إبدال الهمزة من الواو والياء الواقعتين ثاني لينين بعد ألف الجمع الذي على وزن فعائل نحو قولهم: أوائل في "أواول" ونيائف في "نيايف" [lviii] فقد اجتمع مثلان لا يفصلهما سوى الألف وهو حاجز غير حصين، فأبدلوا المثل الثاني همزة هروباً من ثقل التماثل.

ومن أمثلتها إبدال الياء من الهمزة في الجمع الذي على وزن "فعائل" نحو قولهم: خطايا جمع خطيئة [lix] والأصل: خطائئ بهمزتين هما: الهمزة الأصلية والهمزة المبدلة من الياء كما تقدم في إبدال الهمزة من الياء في الجمع نفسه فاستثقلوا اجتماع الهمزتين وتصرّفوا فيهما بالحذف والإبدال ومرّت الكلمة بسلسلة من التغيرات حتى أصبحت "خطايا".

وفي نهاية البحث تم التوصل الي النتائج الاتية :

1) من خلال مطلب المشاكلة لقد تبين ميل الأصوات كلها إلى التناسب وقرب بعضها من بعض لتذليل الصعوبات التي قد تشوب النطق من دون إخلال بالدلالة المعنوية.

2) الذي نلحظه في أمثلة المجانسة أنها حققت درجة متقدمة من التخفيف وهو مرحلة أكبر من المشاكلة إذ يصبح فيها الحرفان المتماسان من جنس واحد.

3) تُعد المماثلة مستوى متقدم آخر من التخفيف وهي أقصى درجات تقريب الصوت من الصوت.

4) إن المخالفة ضرب من التخفيف يعاكس المستويات الثلاثة السابقة بالسلب أي أنّ المستويات الأولى تنحو إلى الاتصال في حين هذا المستوى ينحو إلى الانفصال بمعنى المباعدة بين الأصوات المتماثلة كما حدث مع إبدال الهمزة من حروف العلة.

الهوامش

(i) شرح المفصل لابن يعيش 7/10 وانظر: شرح الشافية 197/3، وشرح ابن عقيل 27/4.
(ii) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك 27/4، وشرح الأشموني 379/4.
(iii) محاضرات ألقاها، د/ فخر الدين قباوة على طلبة الدراسات العليا اللغوية في كلية الآداب بجامعة حلب لسنة 1983م في موضوع "الاقتصاد اللغوي".
(iv) الصاحبي لابن فارس ، ص 203.
(v) الكتاب 477/4 هارون.
(vi) الكتاب : 543/4.
(vii) شرح الشافية 227/,3.
(viii) شرح الملوكي ص :289 ، 290.
(ix) الديوان ص : 64.
(x) المصدر السابق ، ص 108.
(xi) اللغة العربية معناها ومبناها د/ تمام حسان ، ص 79، وفي التحليل الصرفي ص: 212.
(xii) المصدر السابق ، ص 79.
(xiii) شرح السيراقي على كتاب سيبويه للسيراقي ص 576.
(xiv) اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 79.
(xv) المدخل إلى علم اللغة ، ص 67.
(xvi) في التحليل الصرفي ، د/ صبري إبراهيم ، ص 214.
(xvii) الديوان ، ص 205.
(xviii) انفسه ، ص 205
(xix) نفسه ، ص 351.
(xx) اللغة العربية معناها ومبناها ص 79، في التحليل الصيرفي ، ص 212.
(xxi) لحن العامة للزبيدي ، ص 275.
(xxii) المدخل إلى علم اللغة ، ص 65.
(xxiii) التطور النحوي ، ص 13.
(xxiv) اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 79، وعلم اللغة العام ، ص 104.
(xxv) الأصوات اللغوية ، ص 129، وعلم اللغة العام ، ص 104.
(xxvi) شرح الشافية 226/3 – 227.
(xxvii) شرح المفصل 48/10.
(xxviii) الكتاب 543/3 – 554، المقتضب 157/1.
(xxix) الديوان ص 412.
(xxx) المصدر السابق ، ص 412.
(xxxi) سر صناعة الإعراب ، 7/1.
(xxxii) شرح الشافية 47/3.
(xxxiii) الكتاب: 553/3 – 554.
(xxxiv) شرح الأشموني: 837.
(xxxv) الديوان ص : 340.
(xxxvi) شرح الشافية : 53/3.
(xxxvii) سر صناعة الإعراب ، 738/2.
(xxxviii) الديوان ص : 93.
(xxxix) المصدر السابق: 205.
(xl) الأشموني: 873/3.

(xli) الممتع لابن عصفور 357.
(xlii) شرح الشافية 228/3.
(xliii) سر الصناعة 218/1.
(xliv) الديوان ص ، 184.
(xlv) المصدر السابق ص : 373.
(xlvi) نفسه ، ص 404.
(xlvii) شرح الأشموني ، ص 825.
(xlviii) الديوان ، ص 212.
(xlix) المصدر السابق ، ص 294.
(l) نفسه ، ص 183.
(li) شرح الأشموني، 825.
(lii) المصدر السابق ، ص 826.
(liii) الديوان ، ص 74.
(liv) المصدر السابق ، ص 94.
(lv) شرح الأشموني، 825.
(lvi) الديوان ص 119.
(lvii) المصدر السابق : 193.
(lviii) شرح الأشموني : 828.
(lix) المصدر السابق ص : 830.

ثبت المصادر والمراجع

1 - تسهيل الوائد ، وتكميل المقاصد لابن مالك ، جمال الدين محمد بن عبد الله ، تحقيق محمد كمال بركات ، دار الكاتب العربي، 1967، القاهرة.
2 - الخصائص لابن جنِّي ، أبو الفتح عثمان، تحقيق: محمد علي النجار، الطبعة الثانية، دار الهدى ، بيروت.
3 - ديوان أحمد الشارف ، دراسة وديوان علي المصراتي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، 2000م.
4 - سر صناعة الإعراب لابن جني، أبو الفتح عثمان، تحقيق: حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق.
5 - السيرافي في النحو في ضوء شرحه لكتاب سيبويه ، تحقيق: فائز عبد المنعم، دار الفكر ، 1983م، دمشق.
6 - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى "منهج السالك إلى ألفية ابن مالك"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، 1955، بيروت.
7 - شرح شافية ابن الحاجب رضى الدين الاستراباذي ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت.
8 - شرح المفصل لابن يعيش ، موفق الدين يعيس بن علي، عالم الكتب، بيروت.
9 - شرح الملوكي في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب.

10 - في التحليل الصرفي "دراسة في كلمات الإمام علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه"، د/ صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، 1421هـ - 2001م.

11 - الكتاب سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب ، بيروت.

12 - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، القيسي، مكّي بن أبي طالب، تحقيق: محي الدين رمضان ، الطبعة الثانية ، 1981م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

13 - محاضرات في موضوع الاقتصاد اللغوي ألفاها على طلبة الدراسات العليا اللغوية بكلية الآداب، جامعة حلب ، لسنة 1984م.

14 - معاني القرآن الأخفش، سعيد بن مسعرة ، تحقيق: فايز فارس ، الطبعة الثالثة ، 1981م، دار البشير ودار الأمل، الكويت.

15 - المقتضب للمبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، تحقيق: عبد الخالق عظيمة ، عالم الكتب، بيروت.

16 - الممتع في التصريف لابن عصفور، علي بن مؤمن الإشبيلي، تحقيق: فخر الدين قباوة، الطبعة الثالثة، 1978م، دار الآفاق الجديدة، بيروت.